



تفاردوفسكي

# عبارة الفرد في الأدب الروسي المعاصر

بقلم جليل عبد الرحمن

الحي ، يفترفه من الحياة اليومية ، وهو في ذلك لا ينقل اعتبارا وانما يصفى وينتقى ، حتى يغدو الاسلوب نمذجة اخرى تتساوى مع المضمون ، وتفتح له آفاق البلاغة والوحدة . . واذا وضعنا في الاعتبار الاول اهمية الملحمة من ناحية مضمونها النقدي ، فاننا بالدقة نستطيع ان نقيم هذا العمل - في المجالين المضموني والشكلي - وبالرغم من ذلك فقد وقع تفاردوفسكي - وهذه وجهة نظرنا - في اخطاء ونواقص من ناحية العمار الفني ، نلخصها في التالي:

لقد اكثر تفاردوفسكي من التبرير او ما يسمى باللغة الروسية « موتيفوفكا » ففي مدخل الملحمة يتحدث للقارئ لافتا نظره الى انه لا ينبغي من نقده سوى البناء والتقويم . والحق ان هذا التبرير خروج عن البناء العضوي ، واقتراض ساذج من المؤلف في ضعف وعي القارئ وتلقيه للعمل الفني ، ويستطرد في هذا التبرير حتى يلفظنا من الاستغراق النغمية الخلاصة . ان قسم الملحمة تتألق حينما يستغرق الشاعر في رسم الصور المدهشة ، والديالوج ، والمنولوج ، حينما يسخر ، بلل وحينما يعلق من داخل الاحداث . ومن ناحية اخرى فان تفاردوفسكي يمتلك ناصية النغم الشعري ، ويستغل كل طاقات البحر الذي اختاره وعاء للملحمة ، ويسعفه في ذلك المقدرة اللغوية الجبارة ومع ذلك نحس بالرتابة احيانا من وحدة النغم والصوت .

من ناحية المضمون . فالخطأ الرئيسي - من وجهة نظرنا - ان كل النماذج التي ساقها مهصورة ومنسحقة وسلبية تماما . ويتبقى « تيوركين » وحده ، بإمكانية استيعابه وتحليله للظواهر ، هو العنصر الايجابي الوحيد ، وفي هذا افتئات على هذا الشعب الذي قدم خلال تربيع ستالين الاف الضحايا من الذين لقوا مصيرهم الاسود في منافي سيبيريا والاورال !!

اذا كانت ثمة صفة اساسية للشعب الروسي - وهذه من واقع خبرتنا - بجانب البساطة العجيبة ، فانها تتحدد في الشجاعة والنقد ، ان النفسية الروسية - مثل المصرية تماما - لديها استعداد خارق لفهم التناقض ، واستيعاب الشيء الذي يوضع في غير محله ، ويتخذ التهكم اشكالا

منذ اشهر قليلة فجر الشاعر السوفياتي ا. تفاردوفسكي قصيدته الرائعة : « تيوركين في هذا العالم » لقد قرأ الشاعر ملحمة على « نيكييتا خروشوف » بعد مؤتمر ليننجراد السذي درس مشاكل الرواية المعاصرة ونشرت الملحمة في جريدة « الازفستيا » و مجلة « نوفي مير » التي يرأس تحريرها تفاردوفسكي .

ولم يحظ عمل فني في العام الماضي بالنقد والتحليل ، واختلفت فيه وجهات النظر النقدية بمثل ما حظيت به هذه الملحمة الشجاعة .

وتتلخص الملحمة في التالي : تيوركين هذا النموذج المجسد للجندري الروسي الذي قاوم جحافل الفاشست ببطولة اسطورية ، يحمل معه بساطته وآلامه ، ضعفه وطموحه ، انه انسان بسيط « نمذجه » تفاردوفسكي حتى اصبح شخصية حقيقية ، يعرفها القراء السوفيت حتى تكاد ان تلمس في واقع الحياة .

لقد مات « تيوركين » في العمل الفني الاول ، والفائق الروعة لتفاردوفسكي . ولكنه يعود من جديد لكوننا ، ويواجه بالروتين القاتل ، انه يصبح جنديا رغم انه بلا ذنب جناه ، لقد كان الزمن الذي صادف عودته . . هو بالضبط ذلك الوقت الذي عاش فيه ستالين . مستغلا سلطاته المطلقة . . وفي النهاية يترك - تيوركين - هذا العالم مخلفا وراءه حسرة لا توصف .

استغل تفاردوفسكي بجدارة الاساطير والمعتقدات المترسبة ، والتي تتعلق بالبحث ، مؤكدا ان العمل الواقعي ، يمكن ان يستخدم الاسطورة بكل غناها وايجاءاتها اذا اعطى لها دلالة جديدة ومفهوما عصريا . . ومن خلال العلاقات المتشابهة في الملحمة يلتقط تفاردوفسكي بعينه الحادتين مظاهر التناقض ، ونقاط الضعف في المجتمع ويشرحها بمشرطة القاسي ، انه يلقي الضوء على الاورام والقروح ، غير هيا ب من النقد الذي بلغ من الجراة الثورية الى الحد الذي يعتبر نقلة جديدة في الادب السوفيتي الحديث .

وتفاردوفسكي من الشعراء القلائل الذي يمتلكون ناصية تراثهم اللغوي بجدارة . ويستقي اسلوبه من اللحم

عدة تبلغ حد الصوت الجهوري ، او تنساب في تعليقات  
وسخريات « يومية » .

وإذا كان تفاردوفسكي رغم انه شاعر شريف من  
طراز عال - لم يصبه اذى خلال السلطة المطلقة وعبادة  
فرد ستالين - فان هناك شعراء وكتابا آخرين ، قد ضحوا  
بالسنين الطويلة من زهرة شبابهم في المنافي ومعسكرات  
الاعتقال ، وذاقوا الامرين ، ومع ذلك لم يفقدوا الامل في  
امكانية الخلاص ، وانتصار العدل والديمقراطية ، وعلى  
رأس هؤلاء الشاعر الروسي العظيم - باريس روتشيف -  
الذي تقدمه اليوم لقراء « الاداب » .

ان هذا الشاعر المتواضع المقل قد امضى في منافي  
سيبريا عشرة اعوام ، وفي معتقلات العمل المنهكة في  
الاورال عشرة اعوام اخر ، لقد كان عمره خمسة عشر عاما  
حينما تفتحت موهبته الشعرية في الاورال واخذ يكتب  
في الاربعينيات - وهي الاعوام التي تتميز بالبناء الجبار  
في سيبريا والاورال ، وتحولهما من مناطق مقفلة لا قيمة  
لها ، الى الدرجة التي تعتبر اليوم اهم المناطق الصناعية  
ليس فقط في الاتحاد السوفيتي وانما في العالم كله - وفي  
هذا تتجلى ماثرة ستالين ونواقصه معا - نقول اخذ يكتب  
ويغني لوطنه من القلب في شعر عاطفي منبئ بقدره غير  
عادية . . ويساق الشاعر - ذات يوم - الى منافي سيبريا .  
مع المجرمين والخونة والشرفاء في مكان واحد ، وكل ما  
صنعه انه يحب « النكتة » او ما يسمى باللغة الروسية  
Merggm - الشيء غير المتوقع . وهناك يلقي الاهوال ،  
يتجمد بدنه ، ولكن قلبه يظل نابضا ودافئا .

ان الشاعر الذي صقلت المنافي موهبته ، يعبر عن  
الحرمان الصقيعي ، عن الكبت العاطفي والجنسي ، عن  
اللامعقول في الحياة . ولكنه يظل بالرغم من هذا العذاب  
الخرافي مشدودا الى الشمس والذكريات والامل في  
العودة الى داره وحبيبته التي اخلصت له الحب . وقد  
اخترنا من مجموعته - الشمس الحمراء - هذه الملحمة  
النموذجية ، التي اودع فيها عذابات السنين ، والحرمان  
المقيت ، والجوع العاطفي ، والتي تبلغ من الروعة والاصالة  
الى الدرجة التي لا يمكن ان يعبر بمثل مستواها وبساطتها  
وسخريتها وصدقها شاعر اخر لم يقاس هذه التجربة  
المتفردة !

لقد كتب « باريس روتشيف » ملحمة عام ١٩٣٦ ،  
صرخة موجهة من اعماق الجيل الشريف الذي كابد من  
اسطورة التاليه ، من تحويل الفرد الى مجرد « ترس » في  
جهاز الدولة تتحكم فيه سلطات الامن ، وتسحق كبرياءه  
الانساني ، ونعتقد ان نشر هذه المجموعة التي صدرت عام  
١٩٦٠ يعتبر تحولا وانتصارا للفكر الديمقراطي في  
العالم كله .

ان اهم العيوب التي نلاحظها - بعد دراستنا للغة  
الروسية - في بلادنا وفي أوروبا معا : هي الحكم على  
الادب السوفيتي المعاصر من خلال الزوايا السياسية ، وما

تثيره الاحداث العارضة في جرائد ومجلات الدعاية والتي  
تبني احكامها على قوانين الصراع بين المعسكرين ، بينما  
لا تلقى النماذج الحقيقية الاصلية من النقد والاهتمام الا  
الشيء العارض الشحيح .

وسوف نحاول ان نقدم لقراء الاداب - متجربين  
الا من ضميرنا الفني - ما يعكس بحق انتصارات واضافات  
وعيوب هذه الثقافة العملاقة والتي تحتل - اردنا او لم  
نرد - مكانها الطبيعي بين الادب الانساني المعاصر .

لن نقتل بالتحليل ملحمة - باريس روتشيف -  
وسندع القارئ يشتف منها صرخة الشاعر المكتومة  
المدوية ، واحتجاجة الذي يضح كالرعد على وضعه  
الانساني في مخالب الصقيع ، مؤمئنا بايجاز الى ما  
عجزت الترجمة عن نقله :

ان « باريس روتشيف » يختار لكل مشهد الموسيقى  
الخاصة به . يعبر عن الرتبة بالنغم الهادي الطويل  
الرتيب الذي يكاد ان يخفنا ، وحينما تحوطة الذكريات  
يتألق النغم ويتدفق كالجدول الروحي ، ويجسد احاديث  
رفاقه حتى تكاد ان تخترق آذاننا قهقهاتهم الغليظة ،  
وسخرياتهم المرة ، وشبابهم المهصور ، وبعد هذا كله ،  
فللشاعر قدرة عجيبة على الانتقال من الخاص الى العام  
وبالعكس ، من الداخل الى الخارج ، من الخيال السي  
الحقيقة ، مستغلا الرموز والرؤي والاحداث البسيطة  
والكامنة في اللاوعي ، وبالإضافة فان سخريته حادة  
كأسنان الصخر ، ولغته روسية مقطرة ، فيها خشونة  
الحياة وواقعتها التي ترتقي الى ما يشبه الاسطورة .

ونماذج « باريس روتشيف » بسيطة . بسيطة ،  
بعيدة عن تقعرات « الأتلجنسيا » واورامهم الفكرية ،  
نماذج لا تطمح الا للعدل والطمأنينة والحياة اللائقة بنا  
كإنسانيين وفي هذا يكمن تفاؤله الاصيل وثقته التي لم  
تتبدد قط في الانسان .

جيلي عبد الرحمن

موسكو

\*\*\*

## الشمس الخضبة

للشاعر السوفيتي المعاصر باريس روتشيف

- ١ -

في انحاء روسيا التي لا يحتضنها النظر  
والتي تتوارثها مثل بيت الابوة  
نحن الشعب الروسي البسيط  
غداؤنا من التعب وعرق الجباه  
وفي تايجي (١) حيث الغابات الكثيفة التي ترشها الثلوج  
على قمم الجبال . . ومن اعماق المناجم  
نسمي ما يعطى لنا من العيش « الخبز المعتقل » !  
خبزنا . . قطع الخبز !!

١ - الغابات السيبيرية المخضوزة صيفا الموحمة شتاء والتسبي  
لا حدود لها تسمى تايجي

اخشوشنت جلودنا - بدون امرأة تلاطفنا -  
زاحفين خلال الغابات والجبال  
الغابات التي يجللها الدخان  
نترك مواقد النار في الزوايا  
ومن الغريب : اننا في هذه الاراضي الموحشة بدون اناس  
نعيش بالجوازات !!

وانثينا في الدروب المتحجرة ، شققنا الصخور  
دلفنا صامتين نسقط في الثلوج  
وها قد علمنا ونحن مقوسو الظهور  
كيف ان الشرف المقدس : ثقيل وصعب

\*\*\*

في البداية .. في صحارى الشمال  
تركنا مشاعلنا الهزيلة تحترق  
كل هذا القحط .. وكل هذه الاحزان  
قطع الثلج الثقيلة .. الثلج الخالد  
ليكن : لننقض عليه مرة واحدة في البداية  
من أجل ان نجبه على مر الدهور !  
وبالعادة حينما يدعوننا الوطن  
في سبيل كل ما بيناه ، نفتحم معارك الموت .. ونموت !  
وها أنت في البعيد على البحر الازرق  
حزينة في مقتبل عمرك .  
- لا تسمى اشواق المرأة المقدسة  
جبروت الحزن - !

طريقي ، مشاعلي ، خيامي البعيدة  
ترينها قريبة على مرمى ناظريك  
تعلمي صبر الجنود !  
هكذا تسميه امهاتنا ..

العانة جديرة حينما نفتحم القوى المواجهة  
والشوق مفخرة خلال الحياة  
حينما مرت السنون على روسيا  
والآباء يتشبهون بالحصون .

- ٢ -

لو لم تكبر عاما بعد عام  
لو لم نعش معا جنبا الى جنب  
- لا يمكنني ان اخلب ليك قالا  
ان في المرأة جمال الروح والجسد -  
لقد عرفتك في قميصك البسيط  
وحذائك المنزلي ، العادي بلا تزويق  
ولذلك فانت لا تضطرين ، لا تنهريني ، لا احلم بك .  
لقد اعتدت ان اعيش وقلبي بين يديك !  
أنا مقتنع - انه لو لم يكن كذلك - فانه ليس من الممكن  
هنا في هذا المكان الاصم .. في الشتاء الشمالي  
على منحدر الجبل الحاد ، في ضباب الغاب العميق  
- ان تتسامقي هكذا يا شمسي المخضبة -  
يداي المتجلدان من الصقيع  
تحنان الى النار : وبلا دموع  
ادخرتك - وحدك - اعواما  
في عيونني الجافة الممتعة من الفراق  
وانت ابدأ حية .. وقريبة قريبة  
كل شيء فيك لطيف ، متائق ، حي  
تسابين نحوي وعلى حواجبك الدقيقة الشابة المقطبة  
اضطراب الامهات !!

الثلوج تتراكم على سقوفنا تسوقها الرياح  
ومثل الامس لم يكن ثمة شفق على السماء  
وانا بين اليقظة والنام فأنني نسمع  
« استيقظ يا حبيبي لقد حان الفجر »  
ومشيت معي على منعطف الجبل  
على النهر المتجلد .. من متكا الى متكا  
اخذت بيدي حينما انهكت  
وادفات صدري ، حينما افسهر البدن  
تحسرت في الليل ، حينما احسست بأني تعب  
تتحنن على رأسي مثل الاخت الشفوقة  
انفاسنا تتحد : هكذا توهمت

وادخرت حلمي حتى الصباح  
حتى تعلمي انت : انه في هذا الصقيع الشرير  
- مثل خفة اليد : البقية الاخيرة من قواي - !  
لتكن صورتك القديمة قد اضعفتها في الثلوج  
ليكن ! لن استطيع ان امد خطاي في حجرتك  
ليكن ! احببت احدا سواي ، فانا لن اصدق  
لن اعطيك لاحد ما !  
ليكن كل هذا حقيقة : مثلما يضج الشتاء ويعوي  
يخيل لي انني اكابد كل هذا ،  
فانت حتى الان لم تنطفئي في عيني  
هكذا قريبة مني في اليقظة والنام .

- ٣ -

كما يسير المثل في كل الانحاء  
في حياننا ليس كل شيء كما تظنين !  
ان وجدنا اللغائف ، لا نجد التبغ  
وان عثرنا على التبغ ، ضاعت اللغائف  
وذات مرة كنت فقيرا !!  
خلال البحر البعيد ، سافرت بدون اوراق  
ابحرت للشمال .. من غير ان ادخن  
في مرارة الشوق يحرق قلبي في التبغ  
وهكذا احدث شيء ما .. كانه عن عمد  
خطابك تحت يدي !  
ذكراك .. كلماتك  
افراحك .. احزانك  
كانني اقرأه لاول مرة  
مع انني احفظه عن ظهر قلب !  
هكذا دخنت ليلا ونهارا  
قبل النوم .. وبعد اليقظة  
وبالمناسبة .. دخنت الخطاب  
حتى لم يبق سوى النهاية ،  
كان شوكه استقرت في قلبي  
تهاديت وجلست الى جانبي  
كانني اتمسك في دخان التبغ  
ماذا يمكن ان اقول لك ؟؟  
كيف استطيع ان احدث في عينيك ؟  
هكذا وضعت الخطاب في كيس التبغ  
لقد ادخرته اعواما .. على صدري في ثنايا الثوب  
خلال الرياح .. خلال النيران  
خلال النهيرات ، خلال الواح الثلوج العائمة  
وحملته خلال العمل  
وصننته من الامطار

في المكان المصبب العميق !  
كانني منحت في طفولتي من الوراثة  
عظما صلبا .. ورأسا صلبة  
مرة أخرى شكرا : في جبل الاورال  
ساعدتني امرأة واحدة  
وهي نفسها لا تعرف  
لماذا ؟ وكيف انها قوية الى هذا الحد ؟!

- ٥ -

الدب (١) الذي يكابد دون احلام  
كانه في ليل معتم  
ارتفع صوته من كومة القش والجليد  
لم يخش ان يتجمد في البرد  
طول الشتاء يجرجر خطواته في الدروب  
عبر الصقيع الفولاذي ، عبر عواصف الثلوج  
عبر الشواطئ الصخرية  
قابله سائقو العربات  
مخالبه المفظة تسمح كنفه !  
انتصب على قوائمه الخلفية ، في مواجهة العاصفة  
يدلف الدب تماما في صورة انسان  
لكن : معجزة حدثت في عالمنا  
ولكنني اؤكد كل ذلك في شيء واحد :  
- في ارادة طيبة ينام الدب هادئا مطمئن الخاطر  
وليس ثمة واحد من الدببة لا يجول في خواتره او يريد  
ان يعتقد من مكمته الى شاطئ النهر -  
وحدي هنا اجول في الطريق  
الفرو الثقيل مشدود على الجانبين  
كانني اشابه الدب في هذا العالم الصبابي !  
وحدي تتلثم خطواتي في الصقيع .  
اجوس مثل الاعمى ، كاسطورة الارض الشمالية  
تري ؟ هل المسهد المقروح العينين مثلي  
يمكن الا يمنحه القدر :  
القدرة على تدخين التبغ ؟ ان يتعذب شوقا لداره ؟  
ان يناجيك عبر الاف الاميال ؟  
ان يهرول امام العاصفة الهوجاء !  
ان يجلس على الجليد حتى يراقب مطلع الفجر ؟!  
عيناي في البعيد مشعلتان مضيئتان  
ومع كل هذا فانني لا استشعر المهانة  
من هيئتي المضحكة المتوحشة مثل الدب !!  
في صخب الحياة تتغير ملامحنا  
هكذا نعيش كما يشاء الوطن  
انه يرمي بنا في لطف وفي فسوة !  
في الصقيع المر ، وفي الهجير الذي لا يرحم  
عبر كل الانتحاء : هناك طريق واحد  
ادخره لنا الوطن  
يعلمنا السعادة والاملاق  
يمنحنا الفطاء الذي نرتديه على الكتف  
لقد قضى ان اعيش دبا !!  
ان اخترق الفضاء مثل الصقر  
وليكن : لتحلمي بي في هذه اللحظات

وضمته تحت الاحجار  
تحت ثقب الكبريت  
وحتى لا يلاحظ احد من اللصوص خبائه  
كانه دمي واغلى ما ادخره  
كانه اعز ما املك ..  
ومثل المعجزة ، لم يبيل هذا الخطاب  
وفيه سطورك القليلة التي شجبت  
نقاط الحبر ساحت من زمان  
في كل الطرق النائية ، في شعاب الغابات الصبابية  
ها هو الكبر يدب في احناي  
كما دب في خطابك الصفر  
ومن جديد يعتصر في الشوق لحظات  
ومن جديد تغمري السكينة  
حينما كتبت « افلك »  
وفي الامضاء « انا لك »

- ٤ -

ومع الفجر اذهب الى العمل الشاق في المناجم  
وتطر عيوني تتسلق قمة الجبل  
وتحط في المكان الذي يجالسه الدخان العميق  
حيث تعيش امنيتي الوحيدة  
- ومن الممكن انني شخصا لا الاحظ ذلك  
كما يحدث دائما ان يضل الانسان -  
اقول لها .. كلمة اللقاء  
« صباح الخير يا فجري (١)  
وحينما تقر هذه اللحظة  
تنبيل احداقي .. كان ثمة نسيم رطبا عبقا  
ولا ادري لماذا يصبح سهلا ،  
الدق بالمطارق والنفوس العادة ؟!  
وعلى الهواء اخلع ملابس بطمانينة  
ولا يتصبب العرق على وجهي  
طوال النهار : صامتا ادق الاحجار الشمالية الخالدة  
اضرب واضرب حتى يفلو الدم في عروقي  
حتى يطير اليوم بلا ذكريات !  
حتى انام الليل مثل العرييد !  
ومثل لحظة الفتيل المشتعل  
تنفجر اشواق الاعوام  
اشهقها مرة واحدة  
وهكذا في الدخان العميق  
احمل مطرقتي واسير بلا هدى  
تسحق المتاعب التي لا تستطيع لها عدا  
حتى يتساءل كل الناس مندهشين من جلدي !  
كيف يحدث هذا ؟ من اين لك هذه القوى الدائمة ؟  
كم كبرت من الجبال والانهار والصعاب  
ولكنك على اية حال لا تشبه البطل !  
وحينئذ - لأول مرة في حياتي لا اكنتم سرا  
« لست يا اخواني خبيرا بالاعمال الشاقة التي تقصم الظهر  
ان فكري يسبح في مكان ما بين الحفر  
اعتصر قلبي .. حتى سقط ! »  
اترين ؟ لقد ساعدتني بعملك الخير فلم اسقط

١ - الدب يدفن نفسه تحت اكوام الثلوج والقش في سيبيريا  
طوال الشتاء حتى لا تتجمد عظامه

١ - كلمة الفجر في اللغة الروسية تأخذ دلالة حلوة معينة لان  
الفجر طويل فاتق الروعة

فالتلج على النهر الأبيض الشمالي  
الطريق يتلوى على الشواطئ كالثمايين  
في امتداد الطريق تعمر العاصفة  
وها انذا امسح بمخالي الجليد عن الكتفين  
ان يتقد قلبي في الشتاء : هذا ما احاوله  
وبكل امتداد قامته : يجوس كالانسان  
هذا الدب الذي يكابد بلا احلام !

- ٦ -

في الواحدة بعد الليل .. بلا توقع  
استريح لحظات قليلة  
والى القرب في عجلة ارحل  
ومن جديد الى الشرق  
بالاوامر الحديدية نتابع رحلتنا  
بالحمل الثقيل الخالد  
ليلا ونهارا تمر السيارات  
وفي الصقيع الشمالي  
تجهدنا في الطريق قليلا .. حتى العظام !  
ونحن لا نعرف نهاية المطاف  
تندلى اعناقنا كالشائق  
يصفع الشتاء الاوجه فلنعه  
وفي البعيد .. نخاف ان نحدق في البعيد !  
وخلال الصدق غير الموقفة !  
نجوع ، وليس لدينا تبغ ندخه  
ونحن كالاطفال احيانا . لا نبكي !!  
نقول سوف يأتي صبح ما  
افكارنا حزينه بلا جدوى  
لقد اصبحنا حمقى من البرد !  
نواثق ان نعطي نصف حياتنا  
قمنا للحظات من الدفاء

وها نحن من جديد وقد اوغل الليل  
لا نرى على جوانب السيارة الخشبية قبسا من الضوء  
جاري البردان يهز كتفي بقوة :  
« اسمع يا حبيبي من اجل « شلنتنا » (1)  
اعمل معروفا .. وحدق في البعيد  
الا ترى قبسا من الضوء .. ابدا لا ترى في الامام ... لا ترى ..  
عينك حادنان وشابنان »  
امد عنقي من الصف .. الى البعيد  
والريح تجعد جلد الوجه  
خمس دقائق احدث في الامام ..  
ترسب الثلج على رموش العينين وحوافها  
لا ارى غير رموس الجبال خلال الطريق  
مرتفعات ، منحدرات ، شواطئ صخرية  
ليس ثمة نامة ، ولا همسة  
لا امل في مشعل .  
لا امل في تصديق العين ،  
التي لم تعود على العتمة  
ومن جديد ارمي بهيكل في السيارة  
الحقيقة المرة في عقولنا تضطرب  
وبطمأنينة اكذب على جاري

جهوري الصوت حتى يسمع الجميع :  
يا اصدقاني قد حانت الواحة  
هناك مشعل في البعيد .. البعيد  
وييسر اكثر .. استقبلنا قسوة الجليد  
وتفلسنا ربحا شمالية (1) دافئة !  
وتخففنا من نقل احزمتنا  
وقليلا .. نشد ظهورنا للوراء  
شخص ما يصرخ ، ليستجدي الضحك  
واخر يفني موالا قديما .  
يمكننا من جديد ان نتابع رحلتنا  
وفي القلب نرى الحقيقة التي تشعله  
الحياة صعبة مثل الطريق .  
لهذه المشاهد الشتائية لم اكن مستعدا !  
وانا شخصا اتعذب كثيرا ،  
من البرد الذي يكشف روحي  
لاني شخصا لا اعرف من يملك قبسا من النار !!  
حبيبي .. يا اخت روحي  
انتظرتني عاما بعد عام .. عبر شواهد الطريق البعيدة  
ها انذا امزق قلبي من اجلك  
على النار التي لا تواتيني  
ليكن : ليلفت الناس من حولي في كل مكان  
لا تحدى « يا بلدينا » في الامام  
ليس هناك احد يحبك !  
ليس هناك احد ينتظرك !  
انتي لا اصدق هذه النظرات العمياء في الظلام  
ها انذا اهذي مع نفسي في صندوق العربية  
احتك بجاري .. لعل بعض الدفاء !  
ان يكون الدرب طويلا .. هذه ليست مهانة !  
قريبا يا صديقي نثوب  
هناك قبس في البعيد !!

- ٧ -

تحت السماء المكفورة الزرقاء (2) دائما  
نتجرع الحساء مع الخبز الاسود المعتقل !!  
الشاي الاسود نحسبه مع احزاننا السوداء  
نخلع جلود معاطفنا ونقتحم الجليد  
ايتها المرأة البعيدة لا تحزني  
تخلي ان دارنا في كل مكان  
ونحن لا نؤمن بالحب من زمان  
وذلك لاننا رجال .. وهذه شيمتنا  
المصيبة ، والادفاع ، القيقظ ، والريح الثلجية  
صابرون على كل ذلك .. بلا شكوى  
اننا لا نتعارك لاي سبب  
كل له شوقه واحزانه التي تقتصره  
حينما نتذكر اعز احبابنا ،  
ليس في مقدورنا النوم .. ولا نستطيع السكوت  
فان ذكرياتنا تشتعل بالبانزين  
ويحقد عال نضحك ، ويسباب فظ

١ - الريح الشمالية شديدة البرودة وهنا يتهكسب المشاعر ، ان  
سخرته تسلسل في كل بيت من شعره  
٢ - السماء في الشمال المتجمد زرقاء بغير حد ، تتميز بلونها  
المعجب المثير .

١ - هنا يستغل المشاعر في الديالوج اللغة الروسية الشعبوية  
المصفاة ويجسد المشهد دراماتيكي

ومن العجيب ان الجبال لا تتناول الى المناكب ، والنهر لا يبلغ  
حتى الركب !

الماضي لا يزال متدفقا ، والاغاني قريبة لا تزال  
في كل شهقة نصفي الى دقات قلبينا  
وعيشا يهرول عمال المدينة الى المصنع  
كان سرا ممتعا يخبون به نحوك !!  
متلاصقان قد انهارت المسافات بيننا  
اشتعل الرأس شيئا ، والحب ممتلىء فتوة  
في انتظارك الاسيان : لهفة الفتاة ، وحب الخطيبة  
صبر الجندي ، وانتخاب الارملة  
على ما يرام .. ها هي دوامة الثلج تتلاشى  
ها قد اطلق سراحى .. على متن الطائرة اليك  
دقاتي على كوة الدار ، خلال اسبوعين  
وربما خلال شهر ، وربما خلال عام  
وربما من اجل الحقيقة اظل مكبلا !!  
وربما من جديد تتمطى السنون الطويلة  
نزرع الصحاري ، ونحرس الحدود  
والزمن لا يعني بنا ، ولا نحس به  
ان داهمنا عمل ما : قامت الحرب مثلا  
او تحسست طريقي في ضباب العالم اعواما  
وانت وحيدة في الدار قد اصابتك الشيخوخة  
- فنحن لا نجد حتى الان كلمات نعبر بها عن الفراق -  
من الصباح حتى العشية انتظري خيرا ما ..  
لا تتحسري لو تمزقت اوتار قلوبنا المشدودة المرنة  
فان كان هذا موجعا : حدقي من سقف دارنا ،  
الى الشمال البعيد .. بنظرات رحيمة  
حيث تمسح الرياح الثلجية اثار اقدامي  
في طريق النهر الغابي ، ومنحدرات الجبل البعيد  
ترجمة جيلي عبد الرحمن

صدر حديثا :

# سَاطِنَةُ الظَّلَامِ في مَسْقَطِ وَعُمَانِ

بقلم

عوني مصطفى

دار الاداب

الثلثون ١٥٠ ق. ل.

نسخ من النساء الضعيفات الماكرات  
« الايمان بهن لا يساوي مليما واحدا » (١)  
كاننا لم نعرف في موقع صيانا  
الافواه البريئة ، العيون الصادقة  
ونجتمع حينما تدلهم الطبيعة  
وبصوت عال نحكي ذكرياتنا بلا اصباغ  
« كان يا ما كان ومزقت قطعا  
خطاب زوجها الرقيق الابيض الورق »  
« - انهن نساء من يمنجن العانة ؟؟  
« - في شبابنا طوقوا اعناقنا من الرغبة - »  
كان الحديث صاخبا ومتالفا .. وقصيرا  
الاسرار والاشواق على الشفاه  
« - كانت ارتعاشاتهن حلوة في الحر الشديد !  
« - كانهن لا يستطعن النظر في احدنا  
« - في هذا الوقت - يا صديقي - كانت عيونهن معتمة ! - »  
الكلمات الحاقدة بدون حياء  
كان الغيرة لم نلهم احاسيسنا من قبل .  
« اعرف المرأة كلها .. حتى يقع جلدتها الخفية »  
ولكنك تستقرين في روعي كأنك دارنا  
تعيشين كالشمس (٢) في الروح  
كل ما تحدثنا عنه في البعيد البارد  
حديث رجال غير طيب  
كلما ابتعدت عنى فانت اغلى  
انت كالشمس على الجبال المحدودة  
كالشمس المضيئة . حينما تجلس بجانيك  
والذي لا يؤمن بك ، بالنظرة البخيلة التي تعميه ،  
يرى عليك ذرة الغبار !  
نحن نلاطفك في مجرى احلامنا  
على القمم والصخور تحفر كل اسمائك البسيطة  
وفي النار نحترق ، وفي البرد نتجمد  
عبر الجبال والانهار والصحاري  
بخفة ايدينا نشرب احزاننا حتى نسكر  
من اجلك ندفن النار في رماد اعماقنا !  
ومن اجلك اصبحنا كالاساطير  
لا تقاضينا بهذا الحديث فقلوبنا نقية وقاسية  
« يا مليكتي (٣) انت جميلة ومزهوة الريش كالبيجة  
في قصرك الجميل الريفي »

- ٨ -

بين المصنع والمدينة ينساب النهر  
وفوق مجراه دار معرشة بالحطب  
حينما يعصف الشوق تأمل ذلك السقف  
حيث يتهدد وجه محدد في الشمال .  
متقاربان كأننا في اسطورة تفيض بالطيبة  
نفتح اعماق قلوبنا . ولا مفاتيح في ايدينا  
نخترق المسافات الشاسعة ، والليل وشوشة وصغير

- ١ - في هذا الديالوج يبلغ الشاعر قمة فنية ، يستقي مسن  
الفولكلور والواقع والخيال ويبوتق كل ذلك في نفسه
- ٢ - الشمس هنا رمز الدفء والحياة الانسانية البسيطة وعذوبتها  
في الاصل الروسي لا يمكن ترجمته
- ٣ - مرة اخرى يستقي من الفولكلور ابيات عذبة تضيف على  
الملحمة جوا شعبيا ملهما